ترجمة وإعداد: عبدالخالق علي

كيف ستكون حياة أبنائنا على كوكب حار؟

اسم الكتاب: الحر: العيش في الخمسين سنة القادمة على الأرض

المؤلف: مارك هيرتسغارد

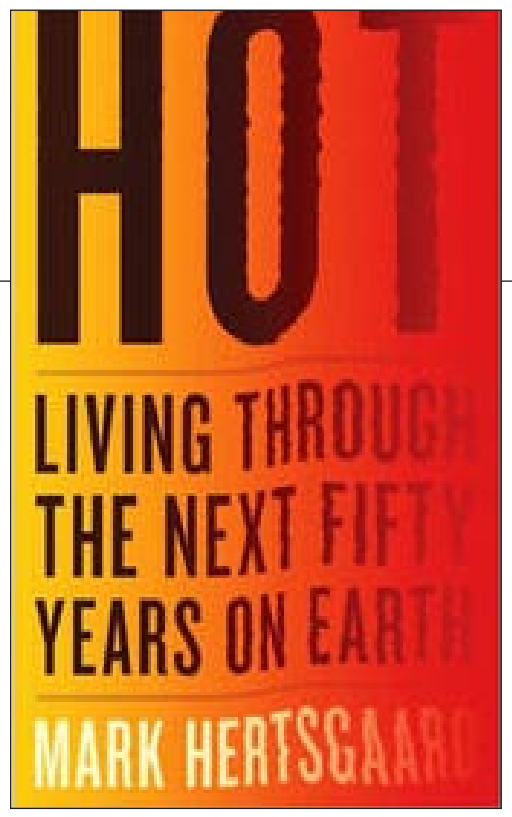

لا شيء يضاهي أن تكون والدا يركز اهتمامه على المستقبل. كيف سيكون العالم بعد قرون من الآن بالنسبة لأبنائنا. هذا هو الدافع وراء كتاب مارك هيرتسغارد. عندما اقبلت ابنته شيارا (البالغة ٥ سنوات من العمر حاليا)، ايقن بان الانحباس الحراري – الذي كتب عنه قبل ٢٠ عاما – هو ليس مجرد قضية مجردة و علمية لن يشهد آثارها في حياته. كونه اصبح والدا لم يغير فقط وجهة نظره بل اضاف ضرورة ملحة الى موضوعه، لذلك آلى على نفسه ان يكتشف "ماذا سيحصل لأبنته و جيلها لو عاشوا في زوبعة من التغيير المناخي".

للأمانة، لم اكن اتطلع لكتابة هذا الكتاب، لكن بعد متابعة التغيير في المناخ على مدى ٢٠ عاما تقريبا احسست بانطفاء جذوة الموضوع، اذ يبدو انه موضوع صعب المراس مثل مواضيع "عملية السلام في الشرق الأوسط" او "اصلاح تمويل الحملات" و هي مواضيع مرضرضة لا يمكن للسياسة معالجتها. لكني عدت الى الموضوع بتفكير و شعور مختلف – ليس فقط باهتمام متجدد بما يفعل الانسان بمناخ الارض، بل ايضا بمزيد من الأمل (ربما كوني أصبحت جدا مؤخرا قد غيّر نظرتي).

لقد اختار هيرتسغارد عنوان "الحر" و هو يتأمل الانحباس الحراري وتأثيره على مستقبل الابناء بدون مداهنة. انه يكتب عن العلم و سياسة التغيير المناخي بوضوح و بتفصيل كاف. فمثلا يفسر، دون ان يربك القارئ، أهمية التلطيف و التكيف، أي اتخاذ إجراءات تقلل من غازات البيوت الخضراء (الزراعية) التي تسبب التغير في المناخ، ثم الاستعداد للانحباس الحراري الذي لا مناص منه.

يسافر هيرتسغارد في كل بقاع الأرض – إلى إفريقيا، أوربا، الصين، جنوب آسيا، الولايات المتحدة – من اجل كتابة التقارير التفصيلية و إجراء مقابلات متعمقة مع ابرز الخبراء في العالم. كذلك فانه يفصّل الإجراءات المهمة التي تقوم بها بعض المجتمعات البشرية (كما في سياتل) و الدول (كما في هولندا) استعدادا لذلك.

رحلات هيرتسغارد قادته الى اجزاء من العالم حيث تتخذ الشعوب خطوات مهمة للتعامل مع الامر المحتم الذي لا بد منه. إذن هناك أمل رغم ان الموقف خطير جدا.

بسبب الزيادة في غازات البيوت الخضراء التي بدأت مع بداية الثورة الصناعية و تزايدت في القرن العشرين مع دخول الصناعة الى المجال الزراعي، و المركبات، و الزيادة السكانية في العالم، يكتب هيرتسغارد قائلا "على مدى الخمسين سنة القادمة، سوف يحوّل التغيير المناخي عالمنا بأساليب بدأنا تصورها توّاً".

يشير هيرتسغارد الى ان اغلب العلماء – ماعدا حفنة من المشككين و المنكرين – يحذرون من عواصف أقوى و احتباس اكبر للمطر و مواسم متقلبة و ارتفاع في مستوى سطح البحر. انها ليست مسألة هل من المحتمل ان يحصل ذلك ام لا، و إنما مسألة الى اي درجة سيحصل ذلك.

لقد تسبب البشر في تغيير مناخ هذا الكوكب، و ان ذلك سيغير كل شيء حسبما يتكهن هيرتسغارد، "من كيفية زراعة الغذاء و الحصول على الماء الى كيفية انشاء المباني و محاربة الامراض، و من كيفية تنظيم الاقتصاد و السيطرة على الحدود الى كيفية ادارة منظومات النقل و نشر الجيوش، و من كيفية ملء استمارات التأمين و صنع النبيذ الى كيفية التحدث مع أبنائنا و التخطيط للمستقبل".

لقد بدأ التحدي فعلا، و هو محفوف بمخاطر كبيرة تشمل – كما اشار القادة العسكريون الاميركان – صراعات إقليمية ناجمة عن الهجرة الإجبارية.

لقد أوضح هيرتسغارد التحدي، و هو يفكر بابنته و بكل أطفال العالم، و في نفس الوقت أشار إلى سبل الحل.

دليل قيّم لما قبل التاريخ البشري

اسم الكتاب: أصل الجنس البشري

المؤلف: كريس سترنجر

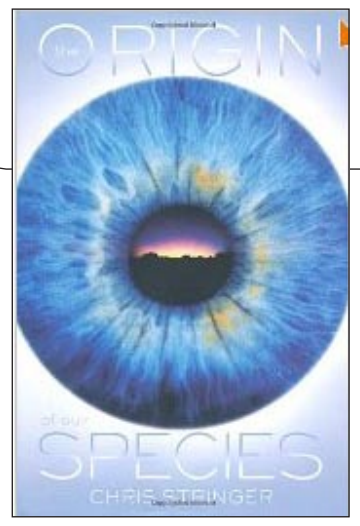

سكان أوربا القدامى (كرو ماغنونز) هم الذين أبدعوا رسوم الكهوف في (لاسكو) و (التاميرا) – انهم صائدو الطرائد المذهلون في العصر الجليدي. قال بيكاسو بعد ان رأى رسوم لاسكو "نحن لم نتعلم شيئا عن الرسم". كانوا بشرا عصريين دخلوا اوربا قبل حوالي ٤٠٠٠٠ عام و هناك، و رغم بيئة العصر الجليدي القاسية، ابتكروا اول ثقافة فنية محنكة. إلا أن ذلك لم يكن نهاية النشوء و التطور البشري. تبين لنا الأعراق الحديثة بان التطور البايولوجي قد تسارع منذ تلك النقطة فصاعدا، خاصة منذ بداية الزراعة قبل ١٠٠٠٠ عام.

أدلة المراجع المتوفرة اليوم من المتحجرات و علم الآثار و الاعراق، جعلت دراسة التطور البشري بحد ذاتها تتطور بسرعة، و ان سترنجر موجود في خضم هذه الضجة. انه اول خبير بريطاني في التطور البشري، و بصفته متخصصا في علم الإنسان القديم في متحف التاريخ الطبيعي، فقد شارك في اغلب البحوث الحاسمة في هذا الموضوع. و هذا يؤكد حقيقة انه عند تأليفه هذا الكتاب لم يستطع ان ينفصل عن المجال الأكاديمي الذي يتنازع فيه شخص واحد مع اكتشافات شخص آخر.

سترنجر يهتم في الغالب بالفترة منذ ظهور الأجناس البشرية في إفريقيا، قبل حوالي ١٩٥٠٠٠ سنة، و حتى وصولها إلى أوربا و موت انسان نياندرتال (الذي غادر إفريقيا قبل مئات آلاف السنين). السجل الآثاري يبين بان الجنس البشري في افريقيا كان على حافة فاتحة عصر حضاري جديد الا ان ذلك لم يتحقق الا بعد وصولهم الى اوربا. يقول سترنجر في كتابه "كما لو ان بصيص الحداثة كان متقطعا".

كان ظهور الزراعة، اولا في العراق و تركيا، هو الحدث الوحيد العظيم في تطور الجنس البشري منذ ظهوره على هذا الكوكب. و من الزراعة بدأت أمور مثل النمو السكاني و الحرف و الفن و الدين و التكنولوجيا، تتدفق بسرعة.

الممارسات الحضارية الجديدة قادت الى تغيرات جينية أساسية، اهمها قدرة سكان شمال اوربا على هضم حليب البقر. جاء ذلك بعد ان تعلموا تربية المواشي، و بعد ان انقلبت الفكرة القائلة بان التحول الجيني سبق الابداع و الابتكار، اذ يبدو ان الحضارة هي التي كانت تقود و الجينات هي التي تتبع.

رغم تزايد ادلة المتحجرات و علم الآثار، فان القوة الدافعة في فهم التطور البشري اليوم، كما يؤكد سترنجر، هي الأعراق. من الممكن اليوم مقارنة عرق نياندرتال مع البشر الحديث و مع الشمبانزي، و سيستمر ذلك لسنوات عدة وسنحصل على نتائج كبيرة.

كان سترنجر مناصرا قويا لنظرية (خارج إفريقيا) السائدة و التي تقول بان البشر ظهروا من القارة و حلوا محل الأنواع البشرية التي سبقتهم مثل إنسان نياندرتال، الا ان الصورة لا تزال تفقد بعضا من بساطتها التقليدية. في العام الماضي قرر مشروع عرق نياندرتال، الذي يقوده عالم الأحياء السويدي سفانت بابو، بان البشر العصريين في اوربا و آسيا يمتلكون بعضا من مزيج جينات نياندرتال، و بهذا انهى المشروع عقودا من الظنون و الحدس. و في كانون اول من العام المنصرم كشف نفس الفريق مفاجأة: تحليل عرقي لبقايا بشرية من كهف في دينيسوفا، جنوب سيبريا، اثبتت انها متميزة عرقيا عن كل انواع البشر المعروفة. و كان الفريق يميل الى تسمية هذا الاكتشاف بالجنس اللينيالي، لكنه اطلق عليه اسم (الدينيسوفان)نسبة الى المكان الذي اكتشف فيه. كان جنس الدينيسوفان في سيبريا قبل ٣٠ – ٥٠٠٠٠ سنة، و هو يسبق الإنسان الحديث و إنسان نياندرتال.

الشيء المفاجئ هو ان الدينيسوفان قد ساهموا ايضا في السلالة البشرية الحديثة في ميلانسيا (و هي جزر شمال استراليا). اليوم نشهد نمطا يظهر من تداخل الأعراق بين البشر الحديث و الانواع القديمة: النياندرتال في اوربا و اسيا، و الدينيسوفان في ماليبسيا. و من المؤكد ستظهر اكتشافات اخرى، اهمها اكتشافات شرق اسيا.

إن كتاب سترنجر لا يتوافق تماما مع عنوانه، فالقصة ما زالت في تغير مستمر. لكن إذا اردنا ان نتابع التصريحات التي ستظهر في وسائل الإعلام من الان فصاعدا في ما يتعلق بالاكتشافات الحجرية الجديدة، و المعلومات الجينية المفصلة عن التغيرات التي تميزنا عن انسان نياندرتال و عن الكائنات الشبيهة بالانسان و عن القرود، فسوف نحتاج الى كتاب أولي لعلم الأحياء لكي نفهم القصة، و هذا هو الكتاب الذي نحتاج له لذلك.

تاريخ قاعدة نيفادا العسكرية السرية

اسم الكتاب: المنطقة ٥١

المؤلف: آني جاكوبسن

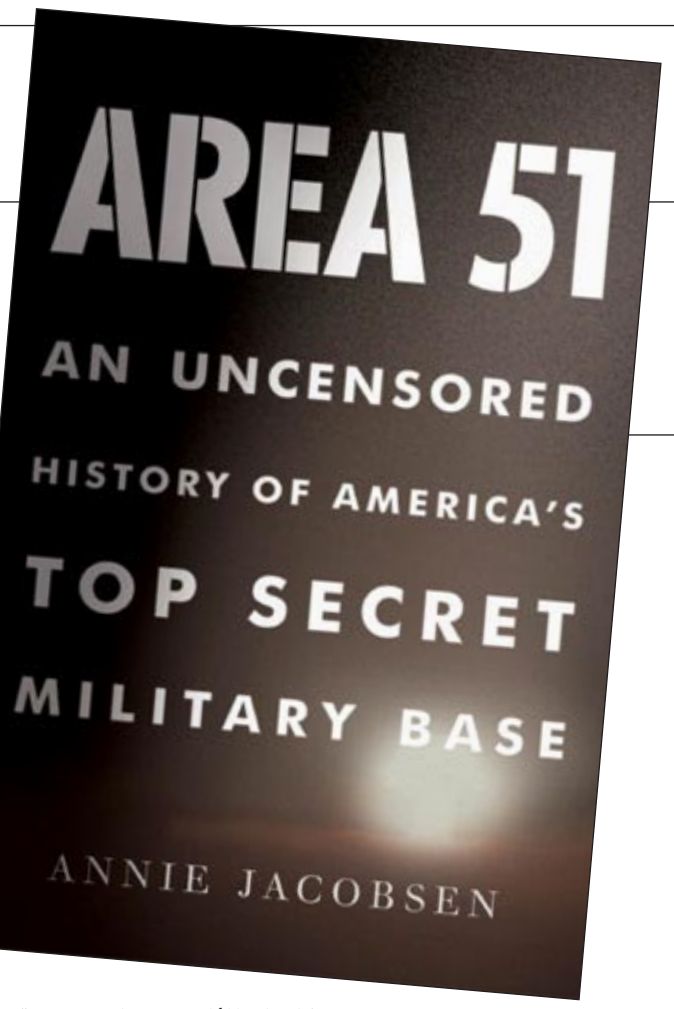

من الغريب أن كتابا يبحث في كشف عقود من نظريات المؤامرة بشأن الأجسام الغريبة و المنطقة ٥١ الشهيرة في نيفادا، يتحول بحد ذاته في النهاية الى نظرية مؤامرة اخرى.

ملأت الصحفية آني جاكوبسن دفتر ملاحظاتها بتفاصيل عن الأفعال السرية التي تحيط بكل شيء: من انفجارات القنبلة الذرية الى تحقيقات طائرات المراقبة و الى التقنية السرية المعاصرة. تنقل جاكوبسن كل هذه المواد الى تاريخ مقروء هو بمثابة حلم للمهتمين بالطيران و لرجال الجيش، تاريخ مليء بحكايات وشخصيات كونت مستقبلها المهني في ثنايا العمليات السرية "السوداء" للحكومة الاميركية لدرجة ان زوجات المشاركين فيها لم يعرفن بالضبط المهن التي يمتهنها أزواجهن. كما ان هناك صورا تسبب القشعريرة عن الانفجارات الذرية الأولى التي صارت في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تجذب السواح الى لاس فيغاس حيث يتجمع الناس لمشاهدة الغيوم المتجمعة في الافق و التي تشبه المظلات. تكتب جاكوبسن مضطرة عن اختبارات الحكومة الاميركية لكل شيء، من قوة الانفجارات الى تأثيراتها على الكائنات الحية – الإنسان و الحيوان على حد سواء –، الى الاشعاع الذي تتركه وراءها.

الا ان الجزء المتلئ و الاكثر اثارة للمشاكل يأتي في النهاية. فعلى مدى عقود كان المصدقون بالاجسام الغريبة و اصحاب نظريات المؤامرة يتصارعون مع قصة ماكنة طائرة، و كائنات حية بحجم الطفل وجدت بالقرب من روزويل عام ١٩٤٧. لا نحتاج الى ان نضرب كل النظريات هنا مادامت جاكوبسن تقول بان لديها الجواب، و لا حاجة الى انتباه كبير مادامت تتحدث بهذا أمام حشد من الاعلام الوطني.

تزعم جاكوبسن، في مقابلات مع آخر الناجين من فريق البحث الذي يضم خمسة رجال عملوا على المشروع، بان الصحن الطائر كان يحمل كتابات باللغة الروسية. الاجساد الباقية (اثنان منها لا تزال حية لكنها في غيبوبة) كانت لأطفال بعمر ١٣ سنة تقريبا يشاع بان الطبيب النازي جوزيف منجيلي قام بتغيير هيئاتهم. كانت التجارب الطبية الغريبة لهذا الطبيب على اليهود والغجر والأقزام و المجانين و غيرهم من الضحايا في اوشويتز، قد سببت أعمالا وحشية خلال الحرب مثلما سببت الكوابيس.

استنادا الى اشاعة يبلغ عمرها ستين عاما تمرر جاكوبسن، و هي غير متيقنة من مصدرها الوحيد غير المؤكد، بان الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين عقد صفقة مع الطبيب منجيلي من اجل تزويده "بالمخلوقات الغريبة" مقابل منح منجيلي مختبرا و ملاذا في روسيا ينجيه من إعدامات ما بعد الحرب. حصل ستالين على مخلوقاته الغريبة لكنه لم يف بوعده، اما منجيلي فانه اختفى في اميركا الجنوبية.

لم تقدم جاكوبسن مادة اخرى تدعم حكايتها، مما يدل على عمق سرية المشروع. و هذا يوفر العنصر الاساسي لأية مؤامرة – و هو عدم العثور على دليل يثبت وجود تعتيم –، و ليست هناك حاجة للتعتيم على شيء غير موجود. احيانا يكون المنطق مربكا.

إذن لماذا كان ستالين يريد المخلوقات الغريبة؟ او بالاحرى لماذا لم يجبر استخباراته المتعطشة للدم KGB على ان تصنع بنفسها هذه المخلوقات؟. تقول الإشاعة انه كان يأمل اسقاط صحن طائر يحمل مخلوقات غريبة في جنوب غرب أميركا لينشر ذعرا يعيد الذعر الذي سببه فيلم اورسن ويلز الشهير "حرب العوالم" عام ١٩٣٨ و الذي جعل سكان الساحل الشرقي يتصارخون في الشوارع.

تكتب جاكوبسن قائلة بان ترومان سوف يرى سهولة سيطرة الدكتاتور على الجماهير باستخدام "الدعاية الإعلامية السوداء"، و "عندما يصل الامر الى التلاعب بأفكار الناس فان ستالين هو الزعيم المناسب في هذا المجال".

المسألة لا تتعلق بزائرين من الفضاء الخارجي بقدر ما هي تتعلق بالتصديق بكل شيء دون وجود الدليل. الله يعلم بان ستالين – الذي أرسل الملايين من شعبه الى حتفهم في بانوراما لاستعراض العضلات – كان قادرا على ما لا يمكن تصديقه.

كذلك تقتبس جاكوبسن من مصدرها لتقول بان الحكومة الاميركية قد اجرت تجاربها غير الاخلاقية في المنطقة ٥١. الا ان المشكلة في مدخل جاكوبسن هو انه مدخل هزيل غير كثيف و يعتمد على مصدر واحد فقط.

بالتالي فان جاكوبسن تقدم لنا نظرية اخرى خاضعة للشك مثل النظريات التي سبقتها. انها نهاية غير موفقة لكتاب جذاب ينظر الى العالم السري في صحراء نيفادا.

تعقيدات و تناقضات اكبر ديمقراطية في العالم

اسم الكتاب: صورة الهند

المؤلف: باتريك فرينج

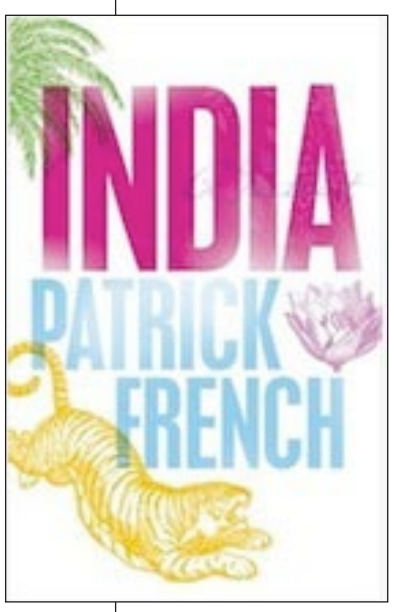

هناك سبعة مليارات من البشر يعيشون على كوكب الارض،منهم ١،٢ مليار في الهند،مما يجعلها اكبر ديمقراطية في العالم. في الاقتصاد الهندي النامي والمكافح، يجمع رجال الاعمال ثروات مذهلة وبسرعة فائقة – كما كان بارونات اميركا اللصوص في القرن التاسع عشر – مما يضعهم على لائحة اغنى اغنياء العالم. مع ذلك فان ٣٠٠ مليون من الهنود على الاقل يعانون أوضاعا معيشية مزرية،معظمهم يعيش تحت خط الفقر. الطبقة المسحوقة من العبيد و المسلوبين كبيرة جدا: يبدو ان شبه القارة الهندية مثلها مثل ديمقراطية خاصة بالنخبة فقط.

يقول فرينج "تسير التناقضات جنبا الى جنب مع بعضها – كالثروة الفاحشة مع الفقر المدقع، و الإيديولوجيات المتصارعة مع الافتقار الى التوحد،و العطف مع القسوة الحادة،و العلاقات المعقدة مع الدين،و الحقائق المتوازية مع سرعة التغييرات الاجتماعية. فالهند هي عبارة عن عالم مصغر و ربما تكون هي الشكل المتخلف للمستقبل". في هذا الكتاب،يمزج فرينج التحليل التاريخي بالريبورتاج الواقعي وهو يهدف الى تصوير البلد بكل ما يزخر به من التعقيدات المتغيرة. و كانت النتيجة صورة غنية،جذابة متعددة الألوان.

ينقسم كتاب فرينج الى ثلاثة أقسام: "راشترا" الذي يتناول تطور السياسة المحلية،و "لاكشمي" الخاص بالاقتصاد،و "ساماج" المتعلق بالمجتمع والدين. يبدو ذلك تخطيطا نظاميا،لكن في كل حالة يعتمد فرينج على القصص الفردية ليبين رأيه حول كيفية وصول الهند الى ما هي عليه اليوم. هذه القصص غالبا ما تكون سريعة و ناطقة رغم كونها مألوفة في بعض الاحيان. يعيد فرينج دائما قصة انتزاع الاستقلال من البريطانيين عام ١٩٤٧ و ظهور أسرة نهرو – غاندي،و هي ملحمة رجال و نساء متعطشين للسلطة، ملحمة عنف و مأساة عائلية لا تساوي أمامها مأساة عائلة كندي شيئا.

إذن لدينا قصص جواهرلال نهرو،انديرا غاندي و اولادها،سونيا غاندي – الايطالية المولد – التي ما زالت واحدة من اقوى نساء العالم. في عام ٢٠٠٤،عندما اتضح انها ستصبح رئيسة للحكومة،احتشدت مجاميع كبيرة خارج منزلها تطالبها بقبول المنصب. يقول فرينج "وقف احد الرجال على سيارته و هو يلوّح بسيف و مسدس و يهدد بقتل نفسه اذا ما رفضت ذلك". إلا إن سونيا رفضت فعلا "بتواضع" فازدادت قوتها. تقول مانيكا غاندي – زوجة أخ سونيا – التي لها خلافات معها "ان رفضها عبارة عن تمثيل". لكن لم يخبرنا فرينج بما حصل للرجل الواقف على سيارته.

يدرس فرينج محاباة الاقارب في البرلمان الهندي،و يدخل الى آليات السياسة في الهند التي تبقى شأنا عائليا،و الى سبب بقاء الهند شبه اقطاعية رغم التغيرات. يرسم فرينج صورة الملياردير سونيل ميتال. انه يتنقل في الاقليم الخطير المتنازع عليه– كشمير – لمقابلة شاكيل احمد بهات الذي صار رمزا عالميا مكروها للرعب الإسلامي. انه يتأمل تأثير الهند على مستقبل جون ميناردكينيس وبالعكس. يقول فرينج "في صميم فكر كينيس المتغير هناك قبول بالمخاطرة و إيمان بان أي نظام متصلب لابد ان يفشل".

يقابل فرينج التاجر سريكانث ناظاموني الذي درس في اميركا و عمل لمدة ١٤ عاما في (سليكون فالي) قبل عودته الى الهند. اخبر ناظاموني فرينج "الفلسفة الهندية التي تعلمتها و انا صغير ربما جعلت من السهل عمل قفزات فكرية و العمل في عالم مثالي"،مشبها الانترنيت بالمفهوم الهندي، وهو تركيب خيالي "لـــه يمتلك العديد من الايدي".

و بينما تولد الهند الجديدة،فان الهند القديمة لا تزال موجودة. بالنسبة إلى فرينج يكمن جوهر الهند الفريد في تمسكها المشوش بالتاريخ. يكتب فرينج قائلا "داخل البلد نفسه،فان الاستجابة للتقدم الاقتصادي الأخير متشابكة أما مع الغرائز الاشتراكية القديمة مقابل الرأسمالية و العولمة،او على رؤيتها كرد فعل منتصر على الإذلال القديم"، و يسمي انقسام ما بعد الاستيطان بأنه "تكتيف فكري" ما زال مهيمنا.

من بين كتب فرينج السابقة سير ذاتية للمستكشف فرانسيس يونغهزبند و الفائز بجائزة نوبل نايبول. كتاب نايبول فيه الكثير من الوضوح بسبب أسلوب فرينج الحاد. أما في "صورة الهند" فان المهمة تختلف و لا يمتلك الكتاب نفس الهمة و الدوافع. نايبول نفسه كان قد كتب عن الهند. فرينج كاتب دقيق لكنه لا يمتلك مواهب نايبول كمراقب لامع. لقد كتب نايبول ذات مرة بان غاندي قاد الهند الى الاستقلال لكنه تركها دون إيديولوجية مما جعل الاستقلال نقمة. أما فرينج فان لديه وجهة نظر مختلفة،اذ انه يفهم الافتقار الى الانسجام على انه مصدر للطاقة و الاختلاف في الرأي،مما يقود الهند إلى مستقبل متمرد من جانب و الى إمكانات السيادة الاقتصادية العالمية من جانب آخر.

يذكر فرينج ان فكرة بقاء السلطة الغربية سليمة هي فكرة "قديمة و سخيفة". إن الموجة الاقتصادية السريعة للهند هي مجرد جزء من إعادة الترتيب. بنكلور تمتلك كل شيء: المتعة،الاسواق،الشقق التي تتزايد بسرعة،انه يصف مركز صناعة التكنولوجيا في الهند بعد ان يحكي قصة رجل محكوم بالأشغال الشاقة كان قد عاش طويلا و بيده الاغلال،يكسر الصخور في سجن مايسور لكونه مدينا لصاحب العمل.

لا يقدم فرينج حلولا او وصفات (هذا ليس عمله)، و حتى عندما يتفاءل احيانا بشأن المستقبل فانه يتعاطف مع الحالات الغريبة في الهند مازجا المشاهير و الجياع و المسحوقين جنبا الى جنب مما يحقق شعورا بالحميمية المتواصلة.